العربيّة لغتنا شعار جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين لمقاومة الاستعمار

أ. الشيخ محمد مصطفى بن عبد الرحمن

تمهيد

قال الشّيخ الإمام المؤسّس لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين عبد الحميد بن باديس -رحمه الله تعالى-: " إنّني أعاهدكم على أنّني أقضي بياضي على العربيّة والإسلام كما قضيتُ سوادي عليهما وإنّها لواجبات.... وإنّني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن هذا عهدي لكم وأطلب منكم شيئا واحدا وهوأن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن "

إنّ من أشهر الشّعارات الوطنيّة التي راجت في الجزائر منذ أوائل ثلاثينيّات القرن العشرين المنصرم شعار

الإسلام ديننا، العربيّة لغتنا، الجزائر وطننا

وينتسب عادة إلى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين التي أسّسها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس مع نخبة من رفاقه عام ١٩٣١ م. إنّ هذا الشعار يمثّل نقيض الأهداف الرئيسة التي سعى الاستعمار الفرنسيّ إلى تحقيقها بكلّ شراسة في الجزائر، والتي تتلخّص في تطبيق مخطّط شامل غايته المعلنة، استئصال كلّ المقوّمات الحضاريّة والدّينيّة والثّقافيّة للشعب الجزائريّ وفي مقدّمتها الدّين واللّغة وتغييب تامّ لوطن اسمه الجزائر. وهذا عرض لما قامت به جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين من جهود جبّارة لمقاومة الاستعمار الفرنسيّ في سعيه للقضاء على اللّغة العربيّة.

المطلب الأوّل: اللّغة العربيّة الفصحى قبل الاحتلال الفرنسيّ

اللّسان العربيّ ليس غريبا عن المجتمع الجزائريّ، واللّغة العربيّة لم تفرض نفسها بالقوّة على الجزائريّين بل تقبّلوها بكلّ حفاوة

ورضى واطمئنان وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزّمن ولم يفكّر البربر والأمازيغ يوما واحدا في رفض لغة العرب

وديانتهم واللّجوء إلى اللّغة اللّاتينيّة والدّين المسيحيّ كما أشار الدّكتور أحمد بن نعمان في كتابه -التعريب بين المبدأ

والتطبيق - وبهذا القبول للدّين الإسلاميّ واللّغة العربيّة عبر القرون ظلّت الجزائر محافظة على اللّغة العربيّة بصلابة نادرة وأسهمت في إثراء التراث العربيّ الإسلاميّ بكثير من الإنتاج والشّروح والتعليقات والمؤلّفات القيّمة وأذكر لكم على سبيل المثال مدنًا أنشئت فيها جامعات لتعليم اللّغة العربيّة مع غيرها من العلوم طبعا. تلمسان، قسنطينة، بجاية، وهران، المُسيلة وغيرها من المدن،وعن العلماء وأسمائهم أدلّكم على كتاب ألّفه الشيخ العلاّمة أبوالقاسم الحفناوي –رحمه اللّه تعالى- عنوانه – تعريف الخلف برجال السّلف– ذكر فيه أكثر من خمسمائة من علماء الجزائر من مختلف المناطق ليذكّر جيله والأجيال التي تجيء من بعده بأنّ الجزائريّين ليسوا فروعا من غير أصول.

وقد شهد بذلك المؤرّخ الفرنسيّ موريس بولار Maurice paular بقوله: " كانت للجزائر في القرن الرابع عشر وما بعده مراكز ثقافيّة باهرة ومزدهرة وكانت تُدرّسُ فيها الفلسفة والآداب والعلوم المختلفة من طبّ وفلك وطبيعة وسياسة.....وغيرها من طرف أساتذة لامعين،وكانت المدارس كثيرة العدد، منتشرة في ربوع البلاد وكان التعليم فيها دينيّا ومدنيّا ". وقد قال السيناتور كومب combe في مجلس الشيوخ الفرنسيّ ما يلي: " إنّ الجزائر كان فيها عند احتلالنا لها أكثر من ألفي معهد ثانوي وعالي ". وخلال القرون الثّلاثة التي كان فيها الوجود العثمانيّ فإنّ الثّقافة العربيّةلم تفقد وظيفتها سواء في المحاكم الشرعيّة أوالتّعليم وغيرها من المرافق التي لها صلة بحياة المواطنين، ولم يحاول الأتراك

فرض اللّغة التركيّة على الأهالي كما أنّهم لم يكوّنوا مدارس خاصّة بأبناء الأتراك لتعليم اللّغة التّركيّة بل إنّ أحمد باي –باي عمالة قسنطينة– قد كاتب السلطان أحيانا باللّغة العربيّة. وكثير من الدّايات والبايات كانوا يتقنون اللّغة العربيّة ويكتبون بها ويخاطبون الشّعب الجزائريّ بها. وعن التّعليم في العهد العثمانيّ أنقل إليكم ما كتبه بول كافارالpaul cafarel وهوكاتب سياسيّ فرنسيّ عايش بدايات الاحتلال الفرنسيّ، يقول وكلّه دهشة وانبهار وإعجاب بما كانت عليه مدينة قسنطينة: "كانت على عهد الأتراك عاصمة دينيّة وكان العلماء يتمتّعون فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التامّ كما أنّها كانت غاصّة بعدد كبير من الطلبة يفترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيويّة والأخرويّة ثم يتفرّقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم. إنّ قسنطينة حقّا كانت مبعث نور الجزائر كما كانت تشرّف العلماء وتقدّرهم حقّ قدرهم ". وليست مدينة قسنطينة وحدها التي كانت مقصد العلماء وتعجّ بطالبي العلم وانتشار المراكز التعليميّة المختلفة بل يمكن القول أنّ ذلك شمِل المدن الجزائرية كلّها عنّابة، مستغان م،تلمسان،وهران،بسكرة،بجاية،المسيلة،ت بسّة وغيرها من المدن.

وأختم هذا المطلب بشهادتين:

- الأولى: قدّمها أحد الجنرالات الفرنسيّين –فالس fals –الذين شاركوا في الاحتلال الظّالم للجزائر في تقرير عرضه سنة ١٨٣٤ م حيث قال: " إنّ كلّ العرب الجزائريّين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث أنّ هناك مدرستين في كلّ قرية "
- الثانية: قدّمتها شخصيّة فرنسيّة مشاركة في الاحتلال وهوأوربانurbain حيث قال: " إنّ نسبة الأميّة في الجزائر سنة ١٨٣٠ م كانت أقلّ منها في فرنسا بالنّسبة لتعداد السكان ". والمستعمر الفرنسيّ كان يرى في هذا التّعليم عائقا يحول دون نجاح الاحتلال وسنجد هذا الكلام مفصّلا في المطلبين التاليين.

المطلب الثاني: سياسة المستعمر الفرنسيّ في الجزائر وطمس اللّغة العربيّة.

جاء في إحدى التّعليمات الصّادرة إلى حاكم الجزائر: " إنّ أيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسيّة إلّا عندما تصبح لغتنا هناك قوميّة...والعمل الجبّار الذي يترتّب علينا إنجازه هوالسّعي وراء نشر اللّغة الفرنسيّة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللّغة العربيّة الدّارجة بينهم الآن تدريجيّا..... ومتى كانت اللّغة الفرنسيّة لغة السّلطة والإدارة فإنّها سوف لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي ولا سيّما إذا وجدت مدارسنا إقبالا من الجيل الجديد، ولا يساورني شكّ في أنّه بعد مضي وقت قصير سوف يجتمع في فصل واحد وحول أستاذ واحد وفي نفس السّاعات أبناء الفرنسيّين والإسبان والعرب واليهود "

وهذا إحدى الصور لبشاعة الاستعمار الذي تعرّضت إليه الجزائر بدءا من سنة ١٨٣٠ م إلى ١٩٦٢ م.

المطلب الثالث: من خطط المستعمر الفرنسيّ في القضاء على اللّغة العربيّة

١– جعل اللّغة العربيّة لغة أجنبيّة

وقد قامت فرنسا بسياسة منظّمة للقضاء على اللّغة العربيّة وسنّت لذلك قوانين جائرة من بينها:

- أصدر الحاكم العام للجزائر في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٤ م قرارا ينصّ على عدم السماح لأيّ معلّم جزائريّ أن يفتح مدرسة لتعليم العربيّة دون الحصول على رخصة من العمالة في المناطق المدنيّة أوالضّباط العسكريّين في المناطق العسكريّة بشروط أهمّها:
  - ألاّ يُدرّس تاريخ الجزائر وجغرافيتها والعالم الإسلامي.
  - ألاّ تُشرح الآيات القرآنية التي تتحدّث عن الجهاد.
  - الخضوع والإخلاص لفرنسا.
- بتاريخ ٢١ مارس ١٩٠٨ م طالب المزارعون الفرنسيّون بإلغاء التّعليم الابتدائيّ بالنّسبة للجزائريّين لجلب اليد العاملة الرّخيصة وذلك لتسهيل توطين المهجّرين الأوربيّين
- قرار ٨ مارس ١٩٣٨ م المشؤوم وهوقانون أصدره وزير الداخليّة الفرنسيّ كامي شوطان – Camille Chautemps–مع قلب واوه ياءً كما قال الأستاذ محمّد الهادي الحسني والذي نصّه: " إغلاق المدارس العربية الحرّة التي لا تملك رخصة العمل ومنع كلّ معلّم تابع لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين بالخصوص من مزاولة التّعليم في المدارس المرخّصة إلّا بعد أن يتحصّل على رخصة تقدّمها له السّلطات المعنيّة"
- في يوم ٢٢ جويلية ١٩٤٥ م صدر قرار يفرض على كلّ معلّم بالعربيّة أن يكون متقنا للّغة الفرنسيّة واعتبر هذا القانون

عائقا في وجه المعلّمين الذين لا يتقنون الفرنسيّة إطلاقا في أغلبهم.

وقد عملت السّلطات الاستعماريّة على فرنسة مجالات الحياة كلّها وجعل اللّغة العربيّة لغة أجنبيّة فشرعت في تطبيق مخطّطها مبتدئة بمجال التّعليم وفي هذا يقول المؤرّخ الجزائريّ أحمد توفيق المدنيّ – رحمه الله –: "كان التّعليم أيّام الحكومة الفرنسيّة استعماريّا بحتا لا يعترف باللّغة العربيّة ولا يقيم لوجودها أيّ حساب، فاللّغة الفرنسيّة وحدها هي لغة التّدريس في جميع مراحل التّعليم "

٢- تقديم اللّهجات المحليّة وتشجيعها

سعت فرنسا طوال عهد الاحتلال للتّفرقة بين أصحاب اللّهجات المختلفة في البلاد واستعداء بعضهم على بعض حتّى تنجح سياسة الفرنسة جزئيّا على الأقلّ وفي هذا الخصوص يقول الأستاذ الراحلُ –ساطع الحصري– وهومفكّر سوريّ عراقيّ أحد مؤسّسي الفكر القوميّ العربيّ – : " زعَم رجال الحكم وصناديد الاستعمار أنّ البربر لم يكونوا مسلمين تماما ولهذا أكثرت فرنسا من إنشاء المدارس في المناطق المسكونة بالبربر..... ومنعت فيها التّكلّم بغير اللّهجات البربريّة أواللّغة الفرنسيّة وحظرت على العلماء الانتقال إلى المناطق المذكورة وذلك لقطع صلة البربر باللّغة العربيّة وكلّ ما يتّصل بها " بتصرّف

للإشارة

رغم كلّ هذه الجهود المتواصلة من طرف الإدارة الفرنسيّة الاستعماريّة لتحقيق هذا الهدف لم تظفر بطائل طوال عهد الاحتلال ولم يتزحزح أهل هذه المناطق عن عروبتهم وإسلامهم قيد شعرة وتدلّ على ذلك الآلاف من المساجد والكتاتيب والزوايا التي كان يبنيها الأهالي في منطقة القبائل الكبرى والصغرى لتعليم أبنائهم الدّين الإسلاميّ واللّغة العربيّة. وللرّدّ على مزاعم التفريق بين العرب والبربر أنقل إليكم ما قاله:

أ- الإمام عبد الحميد بن باديس الصنهاجيّ الجزائريّ: " إنّ أبناء العرب وأبناء مازيغ وحّد بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا ثمّ دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشّدّة والرّخاء حتّى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريّا أمّه الجزائر وأبوه الإسلام "

ب- ما قاله الشّاعر البربريّ الجزائريّ طارق ثابت

العرب والمازيغ من أوراسنا
رضعا حليب الحبّ والإيمان
بلد تمازج عربُـــه بمازيـــغه
حبّ الجزائر دبّ في الوجدان
إن تسألوا مازيغ يهتف قائلا
مـاء العـروبة خـــير ما أرواني
إنّ العروبة في ثرى أوراسنا
مازيـــغ عُلّـــمها بلا بهـــتان

ج- ما قاله الشّيخ الشّاعر محمّد الصالح رمضان – رحمه الله– وهويستقبل وفدا مصريّا بمدرسة الحديث بتلمسان

وما نحن إلاّ من سلالة يعرب
وللشّرق نُعزى لا لغرب مهدّم
فنحن بنوالعرب الأمازيغ كلّنا
مشارقة في الرّوح والقلب والدّم

٣- الإدماج

ويعني اعتبار الجزائريّين فرنسيّين سياسيّا واقتصاديّا واجتماعيّا وهذا الإدماج إلى جانب كونه وسيلةً فعّالةً من وسائل الفرنسة اللّغوية والثّقافيّة فهوسدّ منيع أمام أيّة محاولة من طرف الجزائريّين للمطالبة بالاستقلال عن الكيان الفرنسيّ.

٤- ابتعاث طلاب إلى فرنسا لدراسة لغتها

وذلك إيمانا من المستعمر بأنّ اللّغة هي الوجه الثّاني للفكر ومن يجيد لغة أمّة لا بدّ أن يُعجب بتاريخها وفكرها ويصير له انتماء نوعا ما إلى لغتها. يقول المؤرّخ الجزائريّ حمدان خوجة الذي عاصر كلّ أحداث الغزوالفرنسيّ: " جمع –كادي دوفو– وهوشيخ بلديّة العاصمة المجلس البلدي وقال... يجب أن نجمع على الأقلّ خمسين طفلا من أبناء الأعيان ليُرسلوا إلى فرنسا ليتعلّموا اللّغة وإنّ رفض إرسال الأطفال إلى فرنسا يُعتبر خروجا عن طاعة الفرنسيّين والذي لا يريد الامتثال إلى هذا الإجراء يجب أن يخرج من الجزائر ".وكان الهدف من المطالبة بإرسال الأطفال إلى فرنسا هوتكوين نخبة من الجزائريّين بعيدين عن بيئتهم اللغويّة والثّقافيّة وعن كلّ ما من شأنه أن يبعث في نفوسهم الرّوح الوطنيّة.

٥- فرنسة القضاء والإدارة

وفي هذا أصدرت السّلطات الفرنسيّة قرارا سنة ١٨٤٩ م نصّه: " إنّ لغتنا – الفرنسيّة – هي اللّغة الحاكمة فإنّ قضاءنا المدنيّ والعقابيّ يُصدر أحكامه على العرب

الذين يقفون في ساحته بهذه اللّغة وبهذه اللّغة يجب أن تُكتَب جميع العقود وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا فإنّ أهمّ الأمور التي ينبغي أن نعتني بها قبل كلّ شيء هوالسّعي وراء جعل اللّغة الفرنسيّة دارجةً وعامّة بين الجزائريّين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيّين "

٦- عزل الجزائر عن المشرق والعالم العربيّ الإسلاميّ

يدرك الاستعمار جيّدا أنّ الامتداد الطبيعيّ للجزائر هوالعالم العربيّ الإسلاميّ وأنّ جذور الحضارة التي تحياها الجزائر في ظلّ الإسلام ممتدّة نحومنبع الوحي والفاتحين الأوّلين، ومعرفة هذا الأمر من طرف المستعمر جعله يبادر ويسارع منذ الوهلة الأولى التي احتلّ فيها الجزائر إلى فرض حصار محكم على المجتمع الجزائريّ وغلق جميع النوافذ المشرقيّة التي يمكن أن يتسلّل منها شعاع المعرفة والوعي القوميّ والفكر الإسلاميّ النقيّ واللّغة العربيّة، حتّى أنّ بعض الحكومات العربيّة التي أرادت أن تمدّ يدها بالعَوْنِ للجزائريّين من خلال إنشاء مراكز ومعاهد ثقافيّة، قوبلت طلباتها بالرّفض ومثال ذلك أنّ الحكومة المصريّة سنة ١٩٥٢ م طلبت من فرنسا السّماح لها بإنشاء معهد ثقافيّ في الجزائر باسم " معهد فاروق للدّراسات العربيّة " فلم يأتها إلاّ الرفض القاطع من الإدارة الفرنسيّة على الرغم من أنّ لفرنسا عشرات المعاهد المماثلة في مصر والبلاد العربيّة.

٧- تهجير العلماء

إنّ ما ارتكبه المستعمر من جرائم في حقّ الثّقافة واللّغة العربيّة أحدث ارتباكا فضيعا في الحركة العلميّة في الجزائر ونتج عن ذلك:

أ- دفع النّخب المتعلّمة والإطارات الثقافيّة إلى الهجرة خارج الجزائر والغاية من ذلك أن يخلوالجوّ للمستعمر فيسهل عليه العبث بعقول عامّة الشّعب.

ب- القيام بعمليّة تهجير العلماء ونفيهم خارج الوطن وقد أشار إلى هذا الدّكتور عبد الكريم بوصفصاف – حفظه الله – في قوله: " ولعلّ أوّل نخبة جزائريّة مثقّفة طردها الاستعمار كانت سنة ١٨٣٣ م عندما قامت بنفي كلّ من حمدان بن عثمان خوجة وأحمد بوضربة وغيرهما من المثقّفين الذين قضوا بقيّة حياتهم بالمنفى "

وكتب أيضا الدكتور أحمد بن نعمان في كتابه -التّعريب بين المبدأ والتطبيق-: " وعلى سبيل المثال نذكر ابن العنابيّ وهو من العلماء الجزائريّين الذين عاصروا الغزوالثّقافيّ الفرنسيّ للجزائر وقد هُجِّر إلى مصر..."

والأسماء كثيرة منهم الأمير عبد القادر – رحمه الله – الذي نُفي مع أكثر من مائة عالم ومثقّف وأُسرهم إلى بلاد الشّام فنتج عن ذلك فقر البلاد من العناصر المتنوّرة التي كان من الممكن أن تبعثَ النّهضة التربويّة والعلميّة فيها وتحافظَ على الثّقافة العربيّة من الإضمحلال.

٨- التّشجيع والتّمكين للعاميّة

كانت جريدة – المبشّر – الرسميّة تصدر بالفرنسيّة وبعربيّة ركيكة موجّهة إلى الشعب، وقد أشرف المستشرق الفرنسيّ بيريس péres في وضع بعض الكتب المدرسيّة باللّهجة العاميّة الجزائريّة والتي هي خليط من البربريّة والعربيّة والتركيّة والفرنسيّة وأطلق عليها اللّغة الحيّة بديلا ومحاربة للعربيّة الفصحى التي أُطلق عليها اللّغة الكلاسيكيّة

المطلب الرابع: انصراف جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين إلى تثبيت الهويّة الوطنيّة بدل الانخراط في العمل السياسيّ الضيّق

شغل جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين مسؤولية المحافظة على هويّة الأمّة الجزائريّة، دينها ولسانها وتاريخها وترابها عن النضال السياسيّ بمفهومه الضيّق وممّا قاله الشّيخ البشير الإبراهيميّ -رحمه الله- رادًّا على من يزعم أنّ الجمعيّة لم تقم بواجبها السياسيّ في محاربة الإستعمار:" ولونشاء لقلنا إنّنا أحيينا اللّسان العربيّ، والنّخوة العربيّة، وأحيينا دين الإسلام وتاريخه المُشرق، وأعدنا لهما سلطانهما على النّفوس، وتأثيرهما في العقول والأرواح.. فأحيينا بذلك كلّه الشعب الجزائريّ فعرف نفسه فاندفع إلى الثّورة يحطّم الأغلال، ويطلب بدمه الحياة السعيدة، والعيشة الكريمة، ويسعى إلى وصل تاريخه الحاضر، بتاريخه الغابر". البصائر سنة ١٩٤٧م وأبرزُ كلمة قالها الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي في ذكرى تأسيسها الثّالثة وهويبيّن الغاية من هذا التّأسيس، ما جاء فيها: " إنّ جمعيّتكم هذه أسّست

لغايتين شريفتين لهما في قلب كلّ عربيّ مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة وهما إحياء مجد الدّين الإسلاميّ وإحياء مجد اللّغة العربيّة.....

وأمّا إحياء مجد اللّسان العربيّ، فلأنّه لسان هذا الدّين والمترجم عن أسراره ومكنوناته، لأنّه لسان القرآن الذي هومستودع الهداية الإلهيّة العامّة للبشر كلّهم، لأنّه لسان محمّد بن عبد الله - صلّى الله عليه وسلّم - صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النّوع الإنسانيّ الذي هوأشرف مخلوقات الله، ولأنّه لسان تاريخ هذا الدّين ومُجلّي مواقع العِبَر منه، ولأنّه - قبل ذلك وبعد ذلك - لسان أمّة شغلت حيّزا من التّاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها وتصاريفها في الحياة

ودولها في الدول..... وكلّكم يعلم أنّ هذا اللّسان ضاع من بيننا فأضعنا بضياعه كلّ ذلك التّراث الغالي النّفيس من دين وتاريخ وإنّ اللّغة هي المقوّم الأكبر من مقوّمات الاجتماع البشريّ وما من أمّة أضاعت لغتها إلاّ وأضاعت وجودها واستتبع ضياع اللّغة ضياع المقوّمات الأخرى. ويأبى لكم الله والإسلام أن تضيّعوا لغة كتاب الله ولغة الإسلام. يأبى لكم الله إلاّ أن ترجعوا إليها لا لتُحيُوها بل ـ لتُحيُوا بها الفضيلةَ الإسلاميّة في نفوسكم ولتُحيُوا بها الحياةَ التي يريدها الله منكم..."

ومن هنا كان المستعمر الفرنسيّ يرى في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين منظّمة خطيرة وقد عقدت فرنسا مؤتمرا سنة ١٩٥٠ م جاء فيه: "... إن أخطر منظّمة على الحضور الفرنسيّ هي جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ".

للتذكير

تعود فكرة تأسيس هيئة تجمع شمل العلماء المسلمين الجزائريّين عند الشّيخ عبد الحميد بن باديس إلى فترة إقامته بالمدينة المنوّرة عندما كان يتناقش ويدرس مع رفيق الدّرب الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ أوضاع الجزائر، وسبل النّهضة الشاملة بها. وفي ذلك يقول الشّيخ الإبراهيميّ: " وَأَشْهِدُ الله على أنّ تلك اللّيالي من عام ١٩١٣ م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعيّة العلماء المسلمين والتي لم تبرز للوجود إلا عام ١٩٣١م"

المطلب الخامس: الوسائل التي سلكتها الجمعيّة في ترسيخ اللّغة العربيّة في الجزائر

كان من نتائج مكائد الاستعمار لمحوالثقافة العربيّة انتشار الأميّة وفرنسة المحيط وضعف الحركة الأدبيّة والثقافيّة وضعف اللّغة العربيّة وتقهقرها، وقد فرح الفرنسيّون بهذه النّتائج وعقدوا احتفالا سنة ١٩٣٠ م صرّحوا فيه تصريحا نقله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "..... نحن لا نحتفل بمرور قرن من احتلال الجزائر وإنّما نحتفل بتشييع جنازة الإسلام والعربيّة بها "

وبهذا كان هدف الجمعيّة واضحا في العودة بالجزائر إلى رحاب لغتها ودينها معتمدة في ذلك على مجموعة من الوسائل أهمّها:

أوّلا: التّعليم

كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر سنة ١٩٣٩ م مقالة جاء فيها: "... هذا القطر قريب من الفناء ليس له مدارس تعلّمه وليس له رجال يدافعون عنه ويموتون عليه.... كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلّا إلى المدارس الأجنبيّة التي لا تعطيهم غالبا من العلم إلّا ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسّفاسف حتّى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهم وقوميّتهم وقد ينكرونها ". فآمن الإمام المؤسّس ورفاقه بأنّ العمل الأوّل والأعظم في مقاومة الاستعمار الفرنسيّ هونشر التّعليم.

بعد أربع سنوات من تأسيس الجمعيّة أي سنة ١٩٣٥ م بلغ عدد المداس التي أسّستها الجمعيّة سبعين (٧٠) مدرسة ويقدر عدد تلاميذ هذه المدارس ثلاثين ألف بين صبيّ وفتاة واستطاعت الجمعيّة فيما تلا من السّنوات بناء ثلاثمائة وخمسين (٣٥٠)مدرسة كانت تخرّج مائة وخمسين ألف- ١٥٠ ألف - مواطنا يتقنون اللّغة العربيّة وهذه الإحصاءات ذكرها الأستاذ أنور الجندي –رحمه الله–العالم المصري الكبير في كتابه -الفكر والثّقافة في شمال إفريقيا-، وهذه الأعداد من المدارس والطّلبة تعتبر إنجازا عظيما رغم انعدام الإمكانات وفقر الشعب.

المدارس: منها

- مدرسة الإصلاح سنة ١٩٣١ م: بمدينة بجاية يشرف عليها الشّيخ الهادي الزروقي
- مدرسة الشّبيبة سنة ١٩٣٤ م: بمدينة تيزي وزويشرف عليها الشّيخ حسن حموتن.
- مدرسة تهذيب البنين سنة ١٩٣٤ م: بمدينة تبسّة يشرف عليها الشّيخ

العربي التّبسي ومحمد شبوكي

- مدرسة حياة الشّباب سنة ١٩٣٦ م: بمدينة ميلة يشرف عليها الشّيخ مبارك الميلي
- مدرسة التّربية والتّعليم سنة ١٩٣٩ م: بمدينة عنّابة يشرف عليها الشّيخ العبّاس بن الشيخ الحسين
- مدرسة ابن خلدون سنة ١٩٤٤ م: بمدينة الشّلف يشرف عليها الشّيخ الجيلالي الفارسي
- مدرسة التّهذيب سنة ١٩٥٢ م: بمدينة البليدة يشرف عليها الشّيخ محمد الصّالح بن عتيق
- مدرسة عائشة: بمدينة تلمسان يشرف عليها الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي
- مدرسة الشّباب الأدبيّ الإسلاميّ: بمدينة سيدي بلعبّاس يشرف عليها الشّيخ مصطفى بن حلّوش

نموذجان

١- دار الحديث بتلمسان

تأسّست دار الحديث بتلمسان – مدينة تقع غرب الجزائر – على يد الأستاذ الرّئيس محمد البشير الإبراهيمي الذي عيّنته الجمعيّة مسؤولا عليها. لقد كان يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٣٧ م يوما مشهودا في تاريخ الجزائر عامّة وتلمسان خاصّة حيث توافد النّاس من كامل القطر الجزائريّ لحضور افتتاح دار الحديث وكان عددهم حوالي ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) شخص منهم سبعمائة (٧٠٠) من الضّيوف

والبقيّة من أهالي تلمسان. وخرج يومها أهالي المدينة كبارا وصغارا للقاء رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين الشيخ عبد الحميد بن باديس. وبعد أن حضر الشيخ تمّ افتتاح مدرسة دار الحديث بحضور ثلّة من العلماء ومن دعاة الإصلاح كالشّيخ العربي التّبسّي والشّيخ مبارك الميليّ والشيخ محمد خير الدّين وغيرهم. وبعد أن قدّم الشّيخ البشير الإبراهيميّ مفتاح دار الحديث للإمام المؤسّس عبد الحميد بن باديس ودخلا معًا بدأت الجموع تهتف خارج المدرسة: " ابن باديس...ابن باديس... نريد أن نرى ونسمع ابن باديس !". فأطلّ عليهم هووالإبراهيميّ والعلماء من شرفة الطابق الأوّل قائلًا: " يا أبناء تلمسان، يا أبناء الجزائر إنّ العروبة من عهد تبّع إلى الآن تحيّيكم وإنّ الإسلام من عهد محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلى اليوم يحيّيكم وإنّ أجيال الجزائر من هذا اليوم إلى يوم القيامة تشكركم وتثني عليكم وتذكر صنيعكم بالجميل. يا أبناء تلمسان كانت عندكم أمانة من تاريخنا المجيد فأدّيتموها فنعم الأمناء أنتم فجزاكم الله جزاء الأمناء والسّلام عليكم ورحمة الله "

٢- معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس

مع تزايد عدد المدارس وعدد التلاميذ فكّر أعضاء الجمعيّة في تأسيس معهد للتّعليم الثانويّ الذي ظهر إلى الوجود سنة ١٩٤٧ م ليكون أوّل معهد ثانويّ بالقطر الجزائريّ تحت اسم – معهد عبد الحميد بن باديس – وكان له دور رائد في تاريخ الجزائر الحديث وفي نهضتها العلميّة والأدبيّة وحتّى يكون له امتداد إلى الجامعات العربيّة الأخرى ومصداقيّة أكثر، واعترافا لشهادته العلميّة لم يشأ أعضاء الجمعيّة أن يستقلّوا به فأسندوه علميّا إلى جامع الزيتونة بتونس على الرّغم من أنّ كلّ شيء كان جزائريّا بحتا، أساتذة وميزانيّة وبرنامجا وإدارة. أمّا الكتب المدرسيّة فكانت مختلفة، فيها الجزائريّ المحض وهوقليل وفيها التونسيّ والمصريّ واللبنانيّ وهوالغالب. وكان معهد ابن باديس مستقلّا في كلّ أعماله العلميّة والتربويّة، ما عدا لجنة الإمتحانات الخاصّة بالسّنة الرابعة أوشهادة الأهليّة التي كان يرأسها أساتذة من جامع الزيتونة. بلغ عدد طلبة المعهد سنة ١٩٥١ م سبعمائة (٧٠٠) تلميذا يدرّسهم ١٢ أستاذا. كانت الجمعيّة ترمي من وراء تأسيس هذا المعهد التمهيد لتأسيس وإنشاء جامعة على غرار جامعة الزّيتونة أوالأزهر لتكون مركزا عاليا للثّقافة العربيّة الإسلاميّة، لكنّ ذلك لم يتحقّق لظروف وأسباب عديدة.

وكان عدد لا بأس به من الأساتذة يباشر مهامه في المعهد انتقتهم الحركة الإصلاحيّة للتّعليم، وقد وصفهم الدّكتور عبد الملك مرتاض في كتابه – نهضة الأدب العربيّ المعاصر في الجزائر من ١٩٢٥ إلى ١٩٥٤ م – حيث قال: " كانوا أكثر عددا، وأثرى مددا، وأوسع ثقافة، وأرحب أفقا "

وأذكر على سبيل المثال الأساتذة التالية أسماؤهم:

- الشّيخ العربي التبسي - الشّيخ عبد الرحمن شيبان - الشّيخ أحمد حماني - الشّيخ الصادق حماني - الأستاذ رضا حوحو - الأستاذ صادق مخلوف..... وغيرهم رحمهم الله جميعا.

أما طلّاب المعهد فهم كذلك كانوا كلّهم قمّة في النّشاط والمثابرة والتّحصيل

العلميّ وقد نُقل أنّ الواحد فيهم لا يرضي أن يمرّ اليوم عليه دون أن يحفظ فيه القصيدة الطّويلة أويقرأ الكتاب المتوسّط الحجم لا سيّما في أيّام العطل الأسبوعيّة.

كما كان لتأسيس المعهد انعكاس على الحركة العلميّة والثقافيّة في مدينة قسنطينة بالأخصّ، حيث كانت مقصد كلّ الجزائريّين من طلّاب العلم، ومقصد كلّ الأساتذة الجزائريّين والمدرّسين، فأصبح بهذه المدينة حركة ثقافيّة واسعة شملت تجارة الكتب وتأليفها وطبع المنشورات العربيّة على اختلافها. وعلى قِصر عمر المعهد ١٩٤٧م – ١٩٥٦ م كانت إسهاماته غاية في الأهمّية على الحركة الثّقافيّة العربيّة ونهضتها في الجزائر خاصّة من خلال خرّيجيه الذين كانوا يوفَدون في إطار البعثات التعليميّة إلى معاهد وجامعات المشرق العربي.

المناهج المقرّرة

كان للّغة العربيّة في منهاج مدارس الجمعية المقرّرة للتعليم مكانها وكان لها الاهتمام الكافي واللازم في المقرّرات، باعتبار أنّ النّهضة التي تتزعّمها الجمعيّة من بين أهدافها هوإحياء اللّغة العربيّة، وأنّ التّعليم هووسيلة فعّالة لبعث وإحياء هذه اللّغة.

أمثلة عن الكتب المقررة

- قطر النّدى وبل الصّدى: لابن هشام الأنصاري – الآجرومية: لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن داود الصّنهاجي المعروف بابن آجروم – لامية الأفعال: لابن مالك الأندلسي – ديوان الحماسة: لأبي تمّام – ديوان المتنبّي – الأمالي: لأبي علي القالي – مقدّمة ابن خلدون

وكلّها مقرّرات تخدم اللّغة العربيّة في فنّ من فنونها، القواعد والإملاء والنّحووالصّرف والشّعر وغيرها، وأحيانا أخرى كانت تنتقي كتب المعاهد المشرقيّة خاصّة المعاهد الأزهريّة والزّيتونة لتكون ضمن المقرّرات الدّراسية في منهاج التعليم.

المعلّمون ومؤهلاتهم

بلغ عدد المعلّمين سنة ١٩٥١ م ٢٧٥ (معلّما ومعلّمة) وهؤلاء هم المباشرون للتّعليم بالفعل وكان يطلق عليهم – المعلّمون الأحرار– لتمييزهم عن المعلّمين الرسميّين في سلك التّعليم الحكوميّ. وكانت الجمعيّة أوّل ما تهتمّ به عند اختيار المعلّمين قوّة شخصيّة المعلّم من ناحية وحسن أخلاقه وكفاءته العلميّة من ناحية أخرى وأسجّل في هذا الباب ما يلي:

- أعلنت لجنة التّعليم العليا – لجنة أنشأتها الجمعيّة سنة ١٩٤٨ م– أنّها قرّرت بالإجماع اعتبار الشّهادات العلميّة كشهادة التّحصيل من جامع الزّيتونة شرطا أساسيّا في قبول المعلّمين بمدارس الجمعيّة.(قرار مؤرخ سنة ١٩٥١)
- تخضع عمليّة قبول المعلّمين إلى امتحان خاصّ أطلق عليه "امتحان أهليّة التعليم" يشتمل على ما يلي:

أ- إلقاء درس على جمع من الطلبة من مناهج التعليم التابعة لمدارس الجمعيّة.

ب- موضوع إنشائي.

ج- سؤال تربوي. (قرار لجنة التعليم العليا بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٥٣ م

التّعليم المسجديّ.

لم تقتصر الجمعيّة في دفاعها عن المقوّمات الأساسيّة للجزائر وعلى رأسها اللّغة العربيّة على المدارس الحرّة بل مارست إلى جانب التّعليم المدرسيّ تعليما مسجديّا رغبت من ورائه نشر اللّغة والثّقافة العربيّة الإسلاميّة في الجزائر. ويحدّثنا الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ عن أهميّة هذا التّعليم الذي سنّه الإمام ابن باديس وضرورته للأمّة فيقول: " أجمعت جمعيّة العلماء أمرها وصمّمت على إحياء تلك السّنّة التي سنّها إمام النهضة الجزائريّة الشّيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وهي التّعليم المسجديّ ونعني به ذلك التّعليم الذي تلتزم فيه كتبا معيّنة في العلوم الدينيّة، من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق....والعلوم اللسانيّة من قواعد ولغة وأدب...."

البعثات العلميّة

إنّ فكرة إرسال بعثات علميّة إلى المشرق قديمة وممّا يدلّ على هذا رسالة بعث بها الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى شيخ الأزهر مصطفى المراغي –طيّب الله ثراهما– يلتمس منه فيها قبول بعثات لنهل العلم من مناهل الأزهر الشريف، وهذا نصّ الرّسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وسلّم

قسنطينة في ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ ، ٢٥ يونيو(جوان)سنة ١٩٣٧ م

إلى جناب صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الإمام محمد مصطفى المراغي

أدامه الله للمسلمين ركنا ركينا ولتراث الإسلام حافظا أمينا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعدُ ، فإنّ الخلافة الإسلاميّة العلميّة عرشها اليوم هوالأزهر وفضيلتكم بحقّ تبوأ هذا العرش الرّباني خليفة للمسلمين العلميّ. ولوأنّ المسلمين -وهم كلّهم يعترفون بهذا- أبرزوا إلى حيّز العمل والتّنفيذ لاستردّوا أعظم ما هم بأشدّ الحاجة إليه من معاني الخلافة. وأحسب أنّ من أحسن الوسائل لإبراز هذا المعنى وتحقيقه اتصال الأزهر بالأمم الإسلاميّة من أقطاب الأرض بالمتفقّدين يرسلهم إليها وبالبعثات العلميّة ترسلها إليه.ومن فضل الله أنّ هذا قد شرع فيه فعلا من بعض الأقطار كالهند ، نرجوأن يتمّ في بقيتها.

ولمّا كانت جمعيّتنا قد أخذت على نفسها خدمة المسلمين الجزائريّين في دائرة العلم والدّين رأت أنّ واجبها أن تسعى في إيفاد بعثة لكرع – نهل – العلم من مناهل الأزهر الشّريف.وممّا يسهّل علينا ذلك أن تعرف أنّ الأزهر يأوي تلك البعثة مثل البعثات الإسلاميّة الأخرى، فلهذا أتقدّم باسم الجمعيّة لفضيلتكم ملتمسا إبداء رأيكم السّديد ونصحكم الأبويّ وإنّني في انتظار التشرّف بجوابكم الكريم أدامكم الله للإسلام والمسلمين. والسّلام عليكم ورحمة الله من عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين .

ولم يتحقّق هدف إرسال بعثات علميّة إلى الخارج -خارج نطاق المغرب العربي- إلاّ ابتداءً من سنة ١٩٥١ م وهذه بعض الإحصاءات:

- بعثة إلى مصر سنة ١٩٥١ م ضمّت خمسة وعشرين طالبا (٢٥) وطالبة واحدة (٠١)
- بعثة إلى العراق سنة ١٩٥٢ م بلغ عدد أفرادها أحد عشر طالبا (١١)
- بعثة إلى سوريا سنة ١٩٥٢ م تتكوّن من عشرة طلاب (١٠)
- بعثة إلى الكويت سنة ١٩٥٣ م تتكوّن من أربعة عشر طالبا (١٤)

ثمّ توالت البعثات إلى مصر وسوريا والعراق والكويت والمملكة العربيّة السعوديّة بحيث وصل عدد الطلبة سنة ١٩٥٥ م إلى (١٠٩) طالبا وطالبة ثمّ ارتفعت بعد قيام الثّورة التّحريريّة الجزائريّة بسنوات قلائل إلى عدّة مئات. ولكم أن تتصوّروا استفادة الوطن أيّام الثّورة وبعدها من هذه الكفاءات والطّاقات العلميّة.

ثانيا: الإعلام (الصّحافة)

أنشأ الشّيخ عبد الحميد بن باديس بمفرده أوباسم جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين مجموعة من الصحف والجرائد أدّت دورا كبيرا في الحفاظ على اللّغة العربيّة. أذكر منها:

١- جريدة المنتقد.

أنشأها الإمام عبد الحميد بن باديس وصدر العدد الأوّل منها ٢ جويلية ١٩٢٥ م الموافق لـ ١١ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ وجعل لها شعار

"الحقّ فوق كلّ أحد والوطن قبل كلّ شيء" وقد صدر منها ١٨ عددا ثمّ منَعَها الاحتلال من الصّدور وقد أحصيت فيها ٢٧ موضوعا في مختلف فنون اللّغة وأقرأ على سعادتكم كلاما كتبه الشّيخ المؤسّس منافحا عن استعمال اللّغة العربيّة في عددها التاسع في مقال عنوانه –نقدات حول النادي- وهويخاطب الشّباب الذي لا يتحدّث إلاّ باللّغة الفرنسيّة فيقول: ".... نكتب هذا والأسف يملأ قلوبنا على ضياع لغتنا حتّى كاد ينسدّ طريق التّفاهم بيننا وبكلّ إخلاص نقول لإخواننا الذين برعوا في لغة غيرهم حتّى كادوا يفوقون أهلها يجب عليكم أن تعتنوا شيئا بلغتكم حتّى لا يُحرم إخوانكم من فهم جواهر معارفكم...".

٢- جريدة الشّهاب.

أنشأها الشيخ ابن باديس وصدر العدد الأوّل منها يوم ١٢ نوفمبر ١٩٢٥ م الموافق لـ ٢٥ ربيع الثّاني ١٣٤٤ ه وجعل لها نفس شعار جريدة المنتقد ليؤكّد استمرارية النّضال للدّفاع عن مقوّمات الأمّة وفيها أزيد من ٤٧ مقالة في فنون اللّغة العربيّة وممّا جاء فيها على سبيل المثال كلام كتبه الشيخ ابن باديس يردّ فيه على قانون ٨ مارس ١٩٣٨ م المشؤوم المشار إليه سابقا حيث قال: " "قد فهمنا والله ما يراد بنا، وإنّنا لنعلن لخصوم الإسلام والعربيّة، أنّنا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كلّ ما يصيبنا، ولن يصدّنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا، وإنّنا على يقين من أنّ العاقبة وإن طال البلاء لنا، وأنّ النّصر سيكون حليفنا، لأنّنا قد عزمنا إيمانا وشاهدنا عيانا أنّ الإسلام والعربيّة قضَى الله بخلودهما، ولواجتمع الخصوم كلّهم على محاربتهما....قال تعالى:(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) "سورة فاطر الآية ٤٣

٣- جريدة السّنّة النّبويّة المحمديّة.

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدر منها قبل المنع من طرف سلطات الاحتلال ١٣ عددا شعارها: ولكم في رسول الله إسوة حسنة. أوّل عدد صدر بتاريخ ٢ أفريل ١٩٣٣ م الموافق لـ ٨ ذي الحجّة ١٣٥١ هـ وفيه خمس (٠٥) مقالات لخدمة اللّغة العربيّة.

٤- جريدة الشّريعة

وهي لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين أيضا شعارها قوله تعالى:" ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها " صدر منها سبعة(٠٧) أعداد قبل المنع بدءا من تاريخ ١٧جويلية١٩٣٣ م ٢٤ ربيع الأوّل ١٣٥٢ هـ وفيها مقالتان في بعض فنون اللغة العربيّة.

٥- جريدة الصراط السويّ

لسان حال الجمعيّة أيضا صدر منها ١٧ عددا أوّلها ١١سبتمبر ١٩٣٣ م الموافق لـ ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ فيها حوالي ١٠ مقالات دفاعا عن اللّغة العربيّة

٦- جريدة البصائر

أصدر الحاكم العام للجزائر أمراً استبدادياً يقضي بتعطيل كلّ صحيفة تصدرها جمعيّة العلماء مسبقاً قبل ظهورها، رغم ذلك لم تضعف إرادة العلماء، وعلى رأسهم الشّيخ ابن باديس في مواصلة إصدار الجرائد، فأعادت الجمعيّة طلبها الرخصة القانونيّة بإصدار جريدة تكون لسان حالها. وبعد مدّة ليست بالقصيرة، أذنت لها الإدارة الإستعماريّة بإصدار جريدة "البصائر"، وذلك في ٠١ شوال ١٣٥٤ هـ الموافق لـ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ م. وقد أفلتت "البصائر" من توقيف الإدارة الإستعمارية حيث ظلّت تصدر بانتظام إلى سنة ١٩٣٩ م. أشرف عليها الشّيخ "الطّيّب العقبيّ" من أوّل عدد لها إلى العدد ٨٣ الصادر في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٧ م، حين تحوّلت إدارة تحريرها من العاصمة إلى قسنطينة، وعيّن المجلس الإداريّ لجمعيّة العلماء الشّيخ مبارك الميلي مديرا ومحرّرا لها خلفا للشّيخ العقبيّ إلى أن توقّفت بسبب الحرب عند العدد ١٨٠ الصّادر في ٢٥ أوت ١٩٣٩ م، حيث قرّرت الجمعيّة تعطيلها مع إعلان الحرب العالميّة الثّانية ، لئلاّ تتعرّض لضغوط ومساومات الإدارة الاستعمارية التي طلبت منها أن تعلن باسمها وتكتب في صفحاتها تصريحات ومقالات ضد دول المحور.ثمّ عادت إلى الصّدور بعد انتهاء الحرب العالمية الثّانية من عام ١٩٤٧ م إلى غاية ١٩٥٦ م، بإشراف وإدارة رئيس الجمعيّة الثاني الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ وأنقل إليكم بعض ما كتبه رحمه الله: "حُوربت فيكم العُروبة حتى ظُنّ أنّه قد مات منكم عِرْقُها، ومُسخ فيكم نُطقُها، فجئتم بعد قرن، تَصْدَحُ بلابِلُكم بأشعارها، فتثيرُ الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤُكم بشَقَاشِقِها، فتدكُّ الحصونَ والمعاقلَ، ويهزّ كتّابكم أقلامَها، فتصيب الكِلَى والمفاصلَ..." وقد بدأ صدورها يوم ٢٥ جويلية ١٩٤٧ م، ولكنّها لم تلبث أن توقّفت عن الصّدور مجدّدا من طرف المشرفين عليها سنة ١٩٥٦ م، بسبب احتدام الثّورة التحريريّة وصعوبة العمل في ظلّ القمع الاستعماريّ الذي لحق بكافّة شرائح المجتمع الجزائريّ في تلك الحقبة. والحمد لله بدأ إصدار الجريدة – البصائر – من جديد مع إعادة بعث جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين سنة ١٩٩١ م إلى الآن تحت إشراف الشّيخ الدكتور عبد الرّزاق قسوم رئيس الجمعيّة

طريفة

الأقلام التي كانت تكتب في صحافة الجمعية مشهود لها بالعلم والثّقافة أمثال الشيخ ابن باديس والإبراهيمي والطيّب العقبيّ ومبارك الميليّ ومحمّد خير الدين وعبد اللّطيف سلطاني وأبواليقظان وأحمد سحنون وغيرهم وعندما توقّفت الجريدة عن الصدور للأسباب السالف ذكرها كتب أحد المعاتبين مقالا عنوانه – ما لهم لا ينطقون – أي لماذا توقّفت أقلام العلماء عن الكتابة فردّ عليه عالم من علماء الجمعية وشاعر من شعرائها الشّيخ أحمد سحنون – رحمه الله – بقصيدة رقيقة الوزن، عميقة المضمون، تحمل عنوان" لا تُطِلْ لومي" وممّا جاء فيها:

لا تطل لومي ولا تطلب نشيدي
أنا في شغلٍ بتحطيم قيودي
أأغنّي ولساني موثق
وبطوق خانق طوّق جيدي
أأغنّي ويدي مغلولة
وبرجلي قيود من حديد
أيغنّي من غدا موطنه
بين أنياب ذئاب وأسود
أيغنّي من غدت أمّته

بعد عزّ الملك في ذلّ العبيد.
أأغنّي وأنا في مأتم
بعد دهر كلّه أيام عيد
لا أغنّي قبل تحرير الحمى
فإذا حرّرت غنّيت نشيدي
لا أغنّي قبل أن أجني المنى
وأرى الإسلام خفّاق البنود.

وفي جريدة البصائر المئات من المقالات، قصائد، روايات، خطب، أشعار، نثور...وغيرها من فنون اللّغة العربيّة كتبها علماء أفاضل يدافعون فيها عن اللّسان العربيّ – مراجعة كتاب عيون البصائر – للشيخ محمّد البشير الإبراهيميّ

المطلب السادس: نتائج جهود جمعيّة العلماء للدّفاع عن اللّغة العربيّة

أ- محوالأميّة: على أساس أنّ التّعليم كان بالنّهار مخصّصا للطّلبة الصّغار أمّا ليلا فإنّها تفتح أبوابها للمواطنين الكبار في نطاق برنامج محوالأميّة والتعليم باللغة العربيّة. وبهذه الطريقة تعلّمت أعداد كبيرة من النّساء والرّجال القراءة والكتابة.

ب- الوقوف في وجه التعليم الفرنسيّ.

ج- إحداث نهضة تعليميّة وثقافيّة.

د- تعزيز موقع اللّغة العربيّة بين الجزائريّين: تدعّم اللسان العربيّ وشقّ طريقه بكلّ ثقة وأمل بين الجزائريّين وبدأ يفرض نفسه من خلال الثورة الثّقافيّة التي أحدثتها جهود الجمعيّة، فكان الطّفل الجزائريّ الذي يدرس بهذه المدارس كأنّه يدرس في دمشق أوالقاهرة أوبغداد كلّ شيء عربيّ وكلّ مادة تعليميّة تُقدّم إليه بالعربيّة.

ه- تحقيق التعريب: مع الاعتراف أنّ هذه النّتيجة نسبيّة حيث يواجه التعريب في الجزائر تحدّيات عديدة.

و- الإقبال المتزايد على التعليم.

ي- تخريج كفاءات ونخب ثقافيّة معرّبة.

المطلب السابع: التّوصيات:

١- الاستفادة من التقنيّات الحديثة في نشر اللّغة العربيّة.
- توظيف اليوتيوب وغيره من شبكات التواصل للمقاطع القصيرة في تصحيح اللّسان العربيّ.
- تأسيس قنوات فضائيّة لنشر اللّغة العربيّة تعليما علميّا ، تمثيل، قصص، حوارات..الخ.

٢- الوقوف ضدّ العاميّة في التّعليم.

٣- محاولة الوصول إلى أصحاب القرار وإقناعهم باستصدار قوانين وأنظمة تعاقب استعمال غير اللّغة الرّسميّة العربيّة في الدوائر الحكوميّة.

٤- حثّ مجامع اللّغة العربيّة على الحرص لوضع برنامج استراتيجيّ بالتّعاون مع الدّول العربيّة لترجمة مقرّرات العلوم التطبيقيّة والطبيّة في الجامعات.

٥- حثّ أصحاب رؤوس الأموال لإقامة جامعات متكاملة ناطقة باللّغة العربيّة في مختلف العلوم.

٦- الاستفادة من الوسائل والتقنيّات التي توصّلت إليها مناهج وطرق التّدريس في نقل المعلومة إلى المتلقّي.

٧- العناية بمعلّم اللّغة العربيّة ماديّا ومعنويّا.

٨- أن تتضمّن برامجنا التعليميّة في مختلف الأطوار جهود جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين للدّفاع والمحافظة على اللّغة العربيّة وهذا ما يزيد الرغبة في النهوض بها.

٩- إقامة جامعات ومدارس عربيّة في الدول الغربيّة على أن تكون الدّراسة فيها باللّغة العربيّة في مقابل مختلف الجامعات الأجنبيّة المقامة في الوطن العربيّ.

١٠- تفعيل المنظّمات والهيئات الحكوميّة وغير الحكوميّة لوضع برنامج هدفه المحافظة على اللّغة العربيّة في ظلّ العولمة،كمنظّمة المؤتمر الإسلاميّ وجامعة الدول العربيّة واتّحاد الجامعات العربيّة وغيرها.

المراجع والمصادر

أحمد بن نعمان

- تأمّلات ومواقف – دار النعمان للطباعة والنشر – الجزائر ٢٠١٥ م
- مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء – دار النعمان – ٢٠١٤ م
- مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الخفراء – دار النعمان – ٢٠١٤ م
- التعريب بين المبدأ والتطبيق – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ١٩٨١ م
- فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر- مطبعة دحلب الجزائر –
- سمات الشخصية الجزائرية – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر –

أحمد الرفاعي شريف

- الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي – دار اليمن الجزائر ٢٠٠٥ م –
رابح تركي
- التعليم القومي والشخثية الوطنية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٥ م –

جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- البصائر – دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠٨ م –
- المنتقد - دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠٨ م –
- الشريعة النبزية المحمدية – دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠٣ م –
- السنة النبوية المحمدية – دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠٣ م –
- الصراط السوي – دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠٣ م –
- الشهاب – دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠١ م –
- البصائر – دار الغرب الإسلامي لبنان ٢٠٠٥ م – السلسلتان الأولى والثانية

عبد الحميد بن باديس

- مجالس التذكير من كلام العزيز الخبير – منشورات الشؤون الدينية الجزائر بالتعاون مع دار البعث الجزائر ١٩٨٢ م -

عبد الرحمن شيبان

- حقائق وأباطيل – منشورات المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر ٢٠٠٩ م –

عبد الكريم بوصفصاف

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١-١٩٤٥ م -دار البعث الجزائر ١٩٨١ م

عبد الملك مرتاض

- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر – دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٨٢ م –
- نهضة الأدب العربيّ المعاصر في الجزائر من ١٩٢٥ إلى ١٩٥٤ م

عمار طالبي

- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره – دار اليقظة العربية دمشق سوريا ١٩٦٨ م -

ساطع الحصري

- ما هي القومية ؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ١٩٨٦ م

محمد الحسن فضلاء

- المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر – شركة دار الأمة الجزائر ١٩٩٨ م

محمد خير الدين

- مذكرات الشيخ محمد خير الدين

محمد البشير الإبراهيمي

- آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – دار الغرب الإسلامي لبنان ١٩٩٧ م –
- عيون البصائر – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧١ م –

محمد الهادي الحسني

- من وحي البصائر – دار الأمة الجزائر ٢٠٠٤ م –

مراد مزعاش

- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر – رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر ٢٠٠٢ م